في نظمه ونثره فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها وانزل
الناس بعد تمهيد بساحتها ورحابها ومن شرب من سلافه عصره واخذ عنه
وانتظم في سلكه بفرايد دره القاضي السعيد بن سنا الملك ولم يزل هو ومن
عاصره مجتمعين على دور كاسها ومتمسكين بطيب انفاسها الى ان جات بعدهم
حلبة صادوا فرسان ميدانها والواسطه في عقد جمانها كالسراج الوراق
وابي الحسين الجزار والنصير الحمامي وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين
ابن دانيال والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدي
في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام وجا جماعة من شعرا الشام
تاخر عصرهم ونادر نصرهم ولان في هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم كان ناظم
يود الشعرى لو كانت له شعرا ويتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا
والنثره نثرا ماجلا من بنات فكره خودا الاشاب لحسنها الوليد وسيرها
في الافاق وبين بديعها من النجوم جوار ومن الشعرا عبيد كالشيخ شرف الدين
عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف
ابن لولو الذهبي ومحيي الدين ابن قرناص الحموي وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف
الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين في اواخر ديباجة كتابه المذكور
ومع هولا جماعه بحضرني ذكرهم عند شعرهم وبعز علي اذ لم اردهم على نقايرهم
لفوات عصرهم وتلطف بقوله بعد ذلك ولا نقل ايها الواقف على هذا التاليف
لقد افرطت في التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطل
ودعوى عدوان وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان فالجواب ان الكلام
في التورية لاغير ومن هنا تنقطع المادة في السير ومن ادعى انه ياتي بدليل
وبرهان فالمقياس بيننا والشقرا والميدان انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي
قلت وقد تقدم وتقرر ان التورية عند علما هذا الفن بمنزلة الانسان من العين
وسموها في البلاغه سمو الذهب على العين وقد ثبت ان خواطر المتقدمين
كانت بها شحيحة وافكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمه صحيحه لكنها ربما وقعت
لهم عفوا من غير مرام فنقول انها رمية من غير رام وقد علم ان المتاخرين من
القاضي الفاضل الى من فضل بعده هم نور مشكاتها والمتفكهون في ادواح الادب بثمراتها
فاذا اجليت عرايس افكارهم على اختلاف انواع التورية لا يمل المتامل اللهم الا ان يكون
سيف

سيف ذهنه كليلا فنقول انه من هذا الفن متنصل فان هذه العرايس لم تبرز
لمتامل الا من خدور هذا الكتاب واذا اطلبها من غير توارت عنه بالحجاب فاذا
سرح المتامل طرفه وامسى في كل واد من محاسنها يهيم وتنوعت حلاوات انواعها
لذوقه السليم جردت سيف العزم وامت لكل نوع حدا ونظمت له من انواع التورية
واقسامها في سلك هذا النوع عقدا فان الشيخ صفي الدين الحلي لم يذكر في شرح
بديعيته نوعا من انواع التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذي اجمع الناس
عليه وقال هي ان ياتي المتكلم بلفظه مشتركه بين معنيين قريب وبعيد فيذكر
لفظا يوهم القريب الى ان يجي بقرينه يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن اين يعرف
الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحه وقسميها والمبنية وقسميها
والمهياة واقسامها وكذلك العلامه زكي الدين ابن ابي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير
التحبير نوعا من انواعها ولا قسما من اقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن
له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي ان تكون الكلمه تحتمل معنيين فيستعمل
احد احتماليها ويهمل الاخر ومراده ما اهمله لا ما استعمله واما صاحب التلخيص
فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التوريه وتسمى الايهام ايضا وهي ان يطلق لفظ
له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجرده ومرشحه ولم يزد على هذا القدر شيا
واذا اوردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتاخرين في التورية شرعت في الكلام
على انواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبه بدليل وبصير
لديباج هذا البز المنوع تفصيل وقد قدمت ذكر القاضي الفاضل ومن فضل بعده في باب
الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان جلبابها داخل من
سكن غريب نظمه بابياتها وكلما اوردته لهم ولغيرهم من التورية في غير بابه تعين نظم
شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه ومن مخترعات القاضي الفاضل في
التورية قوله من مديح فضيلك طايبه وهي نكته لم تختلج في صدر عين
اما الثريا فنعل تحت اخمصه وكل قافيه قالت لذلك طا
ومثله قوله في خد خلي لعطفه صدغه والخال حبته وقلبي الطايرُ وقوله
وكنت وكنا والزمان مساعد فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب ونفسي تابى شركها في الموارد
ومن هنا اخذ الشيخ عز الدين الموصلي واجاد حيث قال

انما لم يزد شيا لانه تلخيص في نهاية الضبط والايجاز وشراحه ومحشوه تكفلوا بتفصيل ذلك كما هو معروف لمن قرا ذلك وكانك توهم الناس انك ابتكرت شيا ولا نرى ان احدا قد اطلع على انواع التورية سواك فلا حول ولا قوة الا بالله ⊙ وهل صنيع الصفدي في هذا الا الاستخدام الا متقنا ومن لم ذكرها بانواعها والطايف امثلتها والا فما نكتبه ذلك الكتاب اذا خلا عن هذه المعاني

Copyright © King Saud University